

## (لماذا غابَ إمام زماننا صلوات الله عليه..؟!)

### كلمة الشيخ الغزي في ميلاد الامام المهدي عليه السلام في هيئة زهرايون السويد - ستوكهولم

السبت 13/شعبان/1437هـ - الموافق 2016/5/21م

يا غائباً نتساءل عن غيبته وغريب هذا .. فإنَّ الجاني كأنه يسأل عن سبب الجناية!!  
سؤالٌ يتردد في القلوب وفي الوجدان وفي الساحة الشيعية العقائدية.. كان هذا السؤال محور الحديث في كلمة سماحة الشيخ الغزي في ميلاد الإمام المهدي عليه السلام في السويد.  
وقد جاء الجواب عن هذا السؤال في عدة وقفات:

✱ الوقفة الأولى: مرور سريع على أجوبة تمرُّ في كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم جواباً على هذا السؤال:

◀ قولهم صلوات الله عليهم (غاب إمام زماننا خوفاً من القتل).

وهذه حقيقة .. فلو أنَّ الإمام صلوات الله وسلامه عليه بعد شهادة إمامنا العسكري عليه السلام لم يرغب، لوصلت إليه السيوف!!  
وحتى في يومنا هذا .. لو أنَّ الإمام كشف عن حُجُب الغيبة لقطعت السيوف .. (وسيحصر على تقطيعه إرباً إرباً الهاشميون، هكذا ورد في رواياتهم صلوات الله وسلامه عليهم)!!

وهذا السبب يُعد جزء من الموضوع ، وليس هو السبب الوحيد لغيبة الإمام صلوات الله عليه.

◀ قولهم صلوات الله عليهم (غاب إمام زماننا لئلا تكون هناك بيعة لطاغية في عنقه).

وهذا السبب قد يكون جزء من تهئية العقول، وتهئية النفوس، وتربية الأجيال على رفض البيعة للطغاة.

◀ قولهم صلوات الله عليهم (غاب إمام زماننا لأنه تجري فيه سنن الأنبياء).

فلقد غاب الأنبياء بأنواع مختلفة من الغيبات.. والجواب هنا يتحدث عن أنَّ السنن الإلهية تجري وتُطبَّق.. فكما جرت السنن الإلهية في المجتمعات السابقة، فإنها ستجري في المجتمع الذي وُلد فيه إمامنا.. وهكذا ما دامَّت هناك أرض وهناك سماء، فهذه السنن ستجري وتجري..

◀ قولهم صلوات الله عليهم (غاب إمام زماننا لأنه لابد من التمهيص ولابد من التمييز، ولابد من أن تتزايل الأرحام والأصلاّب).

فأحاديثهم تقول مادام في الأصلاّب الكافرة نُطف للمؤمنين والمؤمنات، فلا بُدَّ أن تتزايل هذه النطف، وتتقوى هذه الأصلاّب كما في قصة نوح صلوات الله عليه. حين أخبر نوح أنَّ قومه لن يلدوا إلا فاجراً كفاراً.. حينها فار التَّنور.. حين حدثت عملية التمايز والتزايل والتنقية فصارت الأصلاّب خالصة نقيّة.. ليس هناك من نطف وآثار للمؤمنين والمؤمنات.  
وكل هذه الأسباب هي ملابسات تُمثِّل جزء من الموضوع.. ولا تمثِّل السبب الكامل لغيبة الإمام صلوات الله عليه. بل إنها أجزاء في حاشية الموضوع.

◀ قولهم صلوات الله عليهم (غاب إمام زماننا لحكمة مجهولة لا ينكشف وجهها إلا بعد ظهوره الشريف صلوات الله عليه).

ويمثِّل الأئمة هنا مثال قصة الخضر وموسى عليهما السلام .. وكيف أنَّ أفعال الخضر كانت غير واضحة لموسى عليه السلام ولم تنكشف لموسى إلا بعد ذلك حين وصل الأمر إلى الانفصال بين موسى والخضر.

وكذلك الحكمة من غيبة الإمام صلوات الله عليه ستنجلي حين يحدث الانفصال بين عنوان الغيبة وبين مشروع الإمام عليه السلام.

■ علينا أن نسلّم بقضية تكون الأساس في كلِّ بحث عقائدي.. وهي أننا لا نستطيع مهما أوتينا من قُدرة علمية أو قدرة على التَّصوُّر والتَّخيل والتَّوهم وقوَّة المنطق العلمي، فإننا لا نستطيع أن نُحيط بالحقيقة العقائدية الكاملة؛ لسبب واضح جدًّا: وهو أنَّ العقائد فيها جانب غيبي والجانب الغيبي لا نستطيع أن نلَمَّ بأبعاده.

✱ الوقفة الثانية: قول الإمام صلوات الله وسلامه عليه (أنَّ وجه الحكمة من غيبة إمامنا لا ينكشف وجهها إلا بعد ظهوره الشريف صلوات الله عليه)..

هذا القول يأخذني إلى جهتين: جهة ترتبط بالإمام عليه السلام، وجهة ترتبط بنا..

● الجهة التي ترتبط بالإمام عليه السّلام: هي أنّه عليه السّلام هو الإمام الـ12 فلا بُدَّ أن يغيب.. لأنّ الأمور تجري بأسبابها، والمجتمع البشري لم يصل إلى المرحلة التي يُجري فيه الإمام ولايته التكوينية، ولايته الخالقية .. فلا بُدَّ أن يغيب .. لأنّه إذا قُتل، فَمَنْ الذي بعده؟

(وقفة توضيحية لهذه النقطة).

● أمّا الجهة المرتبطة بالنّاس مرتبطة بالمجتمع:

فهي أنّ هناك مجموعتان من البشر هما الأكثر ارتباطاً بالمشروع المهدوي:

1- المجموعة المسيحية (وهم حكام العالم).

2- المجموعة الشيعية

فهاتان المجموعتان هما الأكثر ارتباطاً بالمشروع المهدوي، وهما اللتان لهما التأثير الكبير في هذا المشروع.. وكل من هاتين المجموعتين لم تصل إلى مرحلة النّضج إلى الآن.

(وقفة توضيحية تُعطي صورة عن الواقع المسيحي بشكل مُختصر، وصورة عن الواقع الشيعي بشكل مُختصر، وتبيّن هذه الوقفة: أنّ هاتين المجموعتين (المسيحية والشيعية) واللّتين لهما التأثير الكبير في مشروع إمام زماننا لم تصل أيّ منهما إلى النّضج بعد، مع ذكر شواهد تشير إلى ذلك)

■ إمام زماننا صلوات الله عليه ليس غائباً .. فهو الغائب الشّاهد، وإمّا المجتمع البشري هو الغائب (غائب بغفلته، ونائم في نومة عميقة، ولهذا هو غائب).

■ هل يملك الشيعة مشروعاً يتناغم مع المشروع المهدوي العملاق...؟ وإذا كان هناك مشروع عندهم فأين رُموزه؟ وأين مؤسساته؟ وأين أدبيّاته؟ وأين مصطلحاته؟

■ المشروع المهدوي هو مشروع الله لكلّ الوجود، فالقضية أكبر من أن يُؤثّر فيه أحد أو جهة أو عدّة جهات في المجموعة الشيعية.. ومع ذلك هذا لا يعني أن لا يكون للشيعة مشروع يتناغم مع المشروع المهدوي الكبير، وإلاّ ما معاني الأدعية والزّيارات والأحاديث التي وردت عنهم صلوات الله عليهم والتي تحدّثت في شؤون إمام زماننا وشؤون غيبته صلوات الله عليه، وظهوره الشّريف.

■ إذا تتبّعنا أحاديث أهل البيت صلوات الله عليهم، سنجد ثلاثة من الأئمة تحدّثت عنهم الرّوايات بشكل واسع ومسهب: عن سيّد الأوصياء - وسيّد الشّهداء - وعن إمام زماننا صلوات الله عليه.

■ ما بيّن من أجوبة سابقة وردت في أحاديثهم صلوات الله عليهم، والتي ذكرتها في الشّطر الأوّل من هذه الكلمة، تُمثّل أجزاء من هذا الموضوع، ولا تُمثّل الحقيقة الكاملة..

ولكن إذا ما جمعناها مع المطالب الأخرى التي بيّنت في الشّطر الآخر من هذا المجلس، فيمكن أن ترسم لنا صورة نتلمّس منها جانباً من الجواب على هذا السّؤال: لماذا غاب الإمام، ولماذا غيبته مستمرة إلى يومنا هذا؟

■ مشروع إمام زماننا هو المشروع الذي تحدّثت عنه آيات خلافة الإنسان في القرآن الكريم..

ومشروع الخلافة بدأ عصره منذ عصر نبيّنا صلّى الله عليه وآله، وهذه مراحل التّمهيد لهذا المشروع. وإقامة الخلافة على الأرض هي جزء من مشروع الخلافة الأوسع.

■ الصّلاة وسائر العبادات الأخرى هي عبادات صغيرة.. أمّا العبادة الأكبر فهي (الولاية) هي ميزان الهداية والضّلالة. هي ميزان الدّخول في الجنة أو في النار .. وصلواتنا اليومية يُشترط قبولها بالولاية.

■ العبادة (وهي الولاية) تقود إلى العبوديّة .. والعبوديّة هي أعلى درجة من درجات العبادة، وما الصّلاة إلّا مظهر من مظاهر الولاية.. والهدف العميق للمشروع المهدوي هو الوصول إلى العبوديّة.. وأمّا المراد من العبوديّة فذلك أمرٌ لا يتبيّن معناه إلّا حين يضع الإمام يده على رؤوس الخلق فتكتمل عقولهم.

■ المؤمن في زمان الغيبة (والحديث هنا عن أعلى المراتب للمؤمن أي المؤمن الذي اجتمعت فيه مواصفات المؤمن المفروضة والمطلوبة) هذا المؤمن في زمان الغيبة هو ناقص الإيمان.. ومردّد هذا النقص يعود إلى نقص في العقل ونقص في الأحلام.. وهذا النقص في إيمانه يجعل عباداته ناقصة أيضاً.

- وقفة عند رواية الإمام السَّجَّاد صلوات الله عليه مع أبي خالد الكابلي، في وصف أهل زمان الغيبة.. وبيان الوجه الآخر لهذه الرواية. حينما تكون العقول والأفهام والمعرفة أسباب تنقل أهل زمان الغيبة من حالة الغفلة إلى الانتباه.. ومن حالة الغيبة إلى الشهود، فنحنُ الغائبون وليس إمامنا صلوات الله عليه..
- وهذه العقول والأفهام والمعرفة هي التي تقود صاحبها إلى العبادة الصحيحة.
- (ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفكير.. ألا لا خير في عبادة ليس فيها تدبُّر) التَّفَكُّر والتَّدبُّر هي من لوازم العقول والأفهام والمعرفة.
- كيف تتصوَّر إماماً غائباً والقرآن يصدع بشكل واضح (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) وهذه الرؤية هي رؤية الله تعالى، وهي رؤية مطلقة ورؤية إحاطية.
- معنى أنَّ إمام زماننا غائب عن الأبصار.. يعني أنَّ الأبصار لا تمتلك القدرة على رؤيته.. يعني أنَّ الإمام ليس بغائب.
- العبادة التي أُشير إليها في قوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) هي العبادة الكبرى وهي الولاية، ونقولها في الصلاة فنطلب الهداية إلى مركز هذه الولاية، وهو المعصوم عليه السلام.
- المشروع المهدوي مشروع يخصّ الوجود، وما نحن إلّا جزء من هذا المشروع.. فالمجتمع الشيعي يُمثّل القاعدة للمشروع المهدوي، وهو المجتمع الذي تنطلق منه الشرارة الأولى والخطوة الأولى لهذا المشروع.
- لو كان المشروع المهدوي حركة سياسية أو مسألة لإقامة دولة كسائر دول البشر، أو مشروع لإنقاذ مجموعة كما يتصوَّر الشيعة.. فلماذا كل هذه التفاصيل العريضة التي ذكرها الأئمة عن هذا المشروع؟!
- الصورة المتوقّرة لدينا عن المشروع المهدوي صورة مجزوءة لأنَّ المشروع المهدوي مشروع سرّي، فليس من المنطقي أن يكشف الأئمة كل أسرارهم..
- بالإضافة إلى أنَّ المعطيات الموجودة عندنا معطيات ناقصة، وحتى هذه المعطيات الناقصة التي بين أيدينا والتي حدّثنا بها أهل البيت عليهم السلام هي بلسان المدارة..
- ولكنّها بشكل عام تحدّثنا عن مشروع كبير جداً.. وهذا المشروع لم تنضج مقدّماته في العالم الديني بعد:
- (لم تنضج المجموعتين المسيحيّة والشيعية بعد)!